قسم النهايات

وأما قسم النهايات فهو عشرة أبواب، وهى:

المعرفة، والفناء، والبقاء، والتحقيق، والتلبيس، والوجود، والتجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد.

باب المعرفة

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ...﴾(١).

المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو

وهى على ثلاث درجات

والخلق فيها ثلاث فِرَق:

الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعوت

وقد وردت أساميها بالرسالة

وظهرت شواهدها فى الصنعة

بتبصير النور القائم فى السر

وطيب حياة العقل لزرع الفكر

وحياة القلب بحسن النظر

بين التعظيم وحسن الاعتبار

وهى معرفة العامة

التى لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها.

(١) سورة المائدة. الآية رقم ٨٣.

وهى على ثلاثة أركان:

أحدها: إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه

ونفى التشبيه عنها من غير تعطيل

والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.

والدرجة الثانية: معرفة الذات

مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات

وهى تنبت بعلم الجمع

وتصفو فى ميدان الفناء

وتستكمل بعلم البقاء

وتشارف عين الجمع.

وهى على ثلاثة أركان:

إرسال الصفات على الشواهد

وإرسال الوسائط على المدارج

وإرسال العبارات على المعالم

وهى معرفة الخاصة

التى تؤنس من أفق الحقيقة.

والدرجة الثالثة: معرفة مستغرقة فى محض التعريف

لا يوصل إليها الاستدلال

ولا يدل عليها شاهد

ولا تستحقها وسيلة.

وهى على ثلاثة أركان:

مشاهدة القرب

والصعود عن العلم

ومطالعة الجمع

وهى معرفة خاصة الخاصة.

* * * * *

باب الفناء

قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ...﴾[1].

الفناء فى هذا الباب اضمحلال ما دون الحق

علما ... ثم جحدا ... ثم حقا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فناء المعرفة فى المعروف

وهو الفناء علما

وفناء العيان فى المعاين

وهو الفناء جحدًا

وفناء الطلب فى الوجود

وهو الفناء حقا.

والدرجة الثانية: فناء شهود الطلب لإسقاطه

وفناء شهود المعرفة لإسقاطها

وفناء شهود العيان لإسقاطه.

والدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء

وهو الفناء حقا.

شائما برق العين

راكبا بحر الجمع

سالكا سبيل البقاء.

(١) سورة الرحمن. الآية رقم ٢٧.

باب البقاء

قال الله عز وجل: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

البقاء اسم لما بقى قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم، عينًا لا علما

[والدرجة الثانية:][2] وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود، وجودًا لا نعتًا

[والدرجة الثالثة:][3] وبقاء ما لم يزل حقا . . . بإسقاط ما لم يكن محوا.

* * * * *

(١) سورة الأعلى. الآية رقم ١٧.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) ساقطة من الأصل.

باب التحقيق

قال الله عز وجل: ﴿ ... قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... ﴾[1].

التحقيق تلخيص مصحوبك

من الحق ... ثم بالحق ... ثم فى الحق

وهذه أسماء درجاته الثلاث.

أما درجة: تلخيص مصحوبك من الحق فأن لا يخالج علمك علمه.

وأما الدرجة الثانية: فأن لا ينازع شهودك شهوده

وأما الدرجة الثالثة: فأن لا يناسم رسمك سبقه.

فتسقط الشهادات

وتبطل العبارات

وتفنى الإشارات.

* * * * *

(١) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٠.

باب التلبيس

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[1].

التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم

وهو اسم لثلاث معان:

أولها: تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة

وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن والأحايين

وتعليقه المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج والأحكام بالعلل

والانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات

فأخفى الرضى والسخط

اللذين يوجبان الوصل والفصل

ويُظهران السعادة والشقاوة.

والتلبيس الثانى: تلبيس أهل الغيرة

على الأوقات بإخفائها ... وعلى الكرامات بكتمانها

والتلبيس بالمكاسب والأسباب

وتعليق الظاهر بالشواهد والمكاسب

تلبيسا على العيون الكليلة ... والعقول العليلة

مع تصحيح التحقيق عقدا... وسلوكا... ومعاينة

وهذه الطائفة رحمةٌ من الله عز وجل

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ٩.

على أهل التفرقة والأسباب

فى ملابسهم.

والتلبيس الثالث: تلبيس أهل التمكن على العالم

ترحمًا عليهم بملابسة الأسباب

توسيعًا عليهم بملابسة الأسباب

وهذه درجة الأنبياء

ثم هى للأئمة الربانيين

الصادرين عن وادى الجمع

المشيرين عن عينه.

* * * * *

باب الوجود

أطلق الله عز وجل فى القرآن اسم الوجود سريحًا فى مواضع فقال:

﴿ ... يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(١).

﴿ ... لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾(٢).

﴿ ... وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ ... ﴾(٣).

الوجود اسم للظفر بحقيقة الشىء

وهو اسم لثلاثة معان:

أولها: وجود علم لدُنى

يقطع علوم الشواهد فى صحة مكاشفة الحق إياك

والثانى: وجود الحق وجود عين

مقتطعا عن مساغ الإشارة.

والثالث: وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه

بالاستغراق فى الأولية.

* * * * *

(١) سورة النساء. الآية رقم ١١٠.

(٢) سورة النساء. الآية رقم ٦٤.

(٣) سورة النور. الآية رقم ٣٩.

باب التجريد

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾[1].

التجريد انخلاع عن شهود الشواهد

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين

والدرجة الثانية: تجريد عين الجمع عن درك العلم

والدرجة الثالثة: تجريد الخلاص من شهود التجريد.

* * * * *

(١) سورة طه. الآية رقم ١٢.

باب التفريد

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[1].

التفريد اسم لتخليص الإشارة

إلى الحق ... ثم بالحق ... ثم عن الحق

فأما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات:

تفريد القصد عطشا

ثم تفريد المحبة تلفًا

ثم تفريد الشهدود اتصالا.

وأما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات:

تفريد الإشارة بالافتخار بوحًا

وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة

وتفريد الإشارة بالقبض غيرة.

وأما تفريد الإشارة عن الحق

فانبساط يبسط ظاهر

يتضمن قبضا خالصا

للهداية إلى الحق والدعوة إليه.

* * * * *

(١) سورة النور. الآية رقم ٢٥.

باب الجمع

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ... ﴾[1].

الجمع ما أسقط التفرقة

وقطع الإشارة

وشخص عن الماء والطين

بعد صحة التمكين

والبراءة من التلوين

والخلاص من شهود الثنوية

والتنافى من إحساس الاعتلال

والتنافى من شهود شهودها.

وهو على ثلاث درجات:

جمع علم ... ثم جمع وجود ... ثم جمع عين

فأما جمع العلم: فهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفا

فأما جمع الوجود: فهو تلاشى نهاية الاتصال فى عين الوجود محقا

فأما جمع العين: فهو تلاشى كل ما تقله الإشارة فى ذات الحق حقا.

والجمع غاية مقامات السالكين

وهو طرف بحر التوحيد.

---

(١) سورة الأنفال. الآية رقم ١٧.

باب التوحيد

قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾(١).

التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث

وإنما نطق العلماء بما نطقوا به

وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق

لقصد تصحيح التوحيد

وما سواه من حال أو مقام

فكله مصحوب العلل.

والتوحيد على ثلاثة وجوه:

الوجه الأولى: توحيد العامة الذى يصح بالشواهد

والوجه الثانى: توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق

والوجه الثالث: توحيد قائم بالقِدَم وهو توحيد خاصة الخاصة.

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن «لا إله إلا الله» وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢).

هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم

وعليه نُصبت القبلة

وبه وُجبت الذمة

وبه حُقنت الدماء والأموال

وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر

---

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ١٨.

(٢) سورة الإخلاص. الآية رقم ٣، ٤.

وصحت به الملة للعامة

وإ لم يقوموا بحق الاستدلال

بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة

بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

هذا توحيد العامة

الذى يصح بالشواهد

والشواهد هى الرسالة والصنائع

يحب بالسمع

ويُوجَد بتبصير الحق

وينمو على مشاهدة الشواهد.

وأما التوحيد الثانى: الذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة.

وهو إسقاط الأسباب الظاهرة

والصعود عن منازعات العقول

وعن التعلق بالشواهد

وهو أن لا تشهد فى التوحيد دليلا

ولا فى التوكل سببا

ولا للنجاة وسيلة

فتكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه

ووضعه الأشياء مواضعها

وتعليقه إياها بأحايينها

وإخفائه إياها فى رسومها

وتحقق معرفة العلل

وتسلك سبيل إسقاط الحدث.

هذا توحيد الخاصة

الذى يصح بعلم الفناء

ويصفو فى علم الجمع

ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما التوحيد الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته.

وأخرسهم عن نعته

وأعجزهم عن بثه

والذى يشار به إليه على ألسن المشيرين

أنه إسقاط الحدث وإثبات القِدَم

على أن هذا الرمز فى ذلك التوحيد علة

لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها.

هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق

وإن زخرفوا له نعوتًا

وفصّلوه فصولاً

فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً

والصفة نفورًا

والبسط صعوبةً.

وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال

وله قصد أهل التعظيم

وإياه عنى المتكلمون فى عين الجمع.

وعليه تصطلم الإشارات

ثم لم ينطق عنه لسان

ولم تشر إليه عبارة

فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون

أو يتعاطاها حينٌ

أو يقله سببٌ.

وقد أجبت فى سالف الزمان

سائلا سألنى عن توحيد الصوفية

بهذه القوافى الثلاث:

ما وَحَّدَ الواحِدَ مِنْ واحِدٍ . . . إذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جاحِدُ

تَوْحيدُ مَنْ يَنْطِقُ عنْ نَعْتِهِ . . . عــارِيَةٌ أبْطَـلَها الواحِـدُ

تَوْحيــدُهُ إيَّاهُ تَوْحيــدُهُ . . . ونَعْتُ مَنْ يَنْعَــتُهُ لاحِدُ

* * * * *